الفَصْلُ الرَّابعُ
رَسائلُ حَفْلِيَّةٌ

١ ـ نَعْيُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لابنهِ عبدِ المَلِكِ:

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٣٠٨

وأنساب الأشراف ٨: ١٤٤

والتعازي والمراثي ص: ٥٩

والعقد ٣: ٣٠٩

لمَّا ماتَ عبدُ المَلِكِ بنُ عمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ كتبَ عمرُ إلى جميع عُمَّالِهِ[١]:

«أمَّا بعدُ؛ فإنَّ اللهَ تبارَكَ اسْمُهُ وتَعالى جَدُّهُ[٢] كَتَبَ[٣] على خَلْقِهِ، حينَ خَلَقَهُمْ المَوْتَ، وَجَعَلَ مَصِيرَهُمْ إليه. فقَالَ فيما أَنْزلَ من كِتَابِهِ الصَّادِقِ الذي حَفِظَهُ بِعِلْمِهِ، وأَشْهَدَ مَلائِكَتَهُ على حقِّه: إنَّه يَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عليها وإليه يُرْجَعُون[٤]. ثم قالَ لنبيِّهِ عليه السَّلامُ[٥]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾، ثم قالَ

---

(١) ونسخة الرسالة في رواية البلاذري هي:

«إنَّ اللهَ وَهَبَ عبدَ الملِكِ بنَ عمرَ فَمَتِّعْني به ما شاءَ أنْ يمتِّعني به، ثم قَبَضَهُ إليه، فأعوذُ بالله أنْ تكونَ لي مَشِيئةٌ في غيرِ ما أحَبَّ اللهُ. فإذا جاءَكَ كتابي هذا فلا أَعْلَمَنَّ ما بَكَى عليه قِبَلَكَ، وأكْثِرْ من الاستغفارِ له، إنْ شاءَ اللهُ، والسَّلامُ».

(أنساب الأشراف ٨: ١٤٤).

ونُسْخَتُها في رواية المبرِّد وابنِ عبد ربِّه هي:

«إنَّ عبدَ الملِكِ بنَ عمرَ كان عَبْداً من عَبيد اللهِ أحْسَنَ إليه وإلى أبيهِ فيه، أعاشَهُ ما شاءَ، ثم قَبَضَهُ إليه. وكان ما عَلِمتُ، واللهُ به أعلمُ، خيراً، مِن صالحي شبابِ أهْلِ بيتِهِ قراءةً للقرآن وتَحَرِّياً للخَيْرِ. وأعوذُ بالله أنْ تكونَ لي مَحَبَّةٌ في شيءٍ من الأمورِ تُخالفُ مَحبَّةَ الله، فإنَّ ذلك لا يَحْسُنُ بي في إحسانِهِ إليَّ، وتتابُعِ نِعَمِهِ عليَّ. وقد قلتُ عندَ الذي كانَ بما أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ أقولَ عندَ المصيبةِ، ثم لم أجِدْ بحمدِ اللهِ إلاَّ خيراً، ولا أعلم ما بكتْ عليه باكيةٌ، ولا ناحتْ عليه نائحةٌ، ولا اجْتَمَعَ لذلك أحدٌ، فقد نَهَيْنَا أهْلَهُ الذين هُمْ أحَقُّ بالبكاءِ عليه».

(التعازي والمراثي ص ٥٩، والعقد ٣: ٣٠٩).

(٢) الجَدُّ: العَظَمة. يقال: جَدَّ في عَيْني، أي عَظُم.

(٣) كتبَ على خَلْقِهِ: قَضَى عليهم وفَرَض.

(٤) هذا مَعْنَى قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾. (سورة مريم الآية ٤٠).

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. فالموتُ سَبيلُ النَّاسِ في الدُّنيا، لم يَكْتُبِ اللهُ لِمُحْسِنٍ ولا مُسيءٍ فيها خُلْداً[٢]، ولم يَرْضَ[٣] بما أَعْجَبَ[٤] أَهْلَها فيها ثواباً[٥] لأهل طَاعَتِهِ، ولم يَرْضَ بِبَلائِها[٦] عُقُوبةً[٧] لأهل مَعْصِيتِهِ. فَكُلُّ شيءٍ منها أعجَبَ أَهْلَهَا، أو كَرِهُوا منه شيئاً مَتْرُوكٌ، لِذَلك خُلِقَتْ، ولذلك سُكِنَتْ منذ سُكِنَتْ، ولِيَبْلُوَ[٨] اللهُ فيها عِبادَهُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. فَمَنْ قَدِمَ، عند خُروجِهِ[٩] من الدُّنيا، إلى أَهْلِ طاعةِ اللهِ ورِضْوانِهِ[١٠] من أنبيائِه، وأَئِمَّةِ[١١] الهُدَى الذينَ أمرَ اللهُ نبيَّهُ أنْ يَقْتَدِيَ[١٢] بِهُداهُمْ، خالدٌ في دَارِ المُقامةِ[١٣] من فَضْلِهِ[١٤]، لا يَمَسُّهُ[١٥] فيها نَصَبٌ[١٦] ولا يَمَسُّهُ فيها لُغُوبٌ[١٧]. ومَنْ كانت مُفَارَقَتُهُ الدُّنيا إلى غيرهم، وغيرِ مَنازِلهم، فقد قَابَلَ[١٨] الشَّرَّ الطَّويل، وأقامَ على ما لا قِبَلَ لهُ[١٩] به، أسألُ الله بِرَحْمَتِهِ[٢٠] أنْ يُبْقينا،

---

(١) سورة طه: الآية ٥٥.

(٢) الخُلْدُ والخُلودُ: دَوامُ البقاءِ في دارٍ لا يُخْرَجُ منها.

(٣) رَضِيَ بالشيءِ: أحَبَّه وتَقبَّلَهُ.

(٤) أعْجَبَ أهْلَهَا: سَرَّهم.

(٥) الثواب: جزاءُ الطاعةِ وجَزاءُ العَمَلِ.

(٦) بَلاءُ الدنيا: شَرُّها وأذاها ومَكْرُوهها.

(٧) العُقُوبة: الاسم من العقاب والمعاقبة، وهو أنْ تَجْزِي الرَّجُلَ بما فَعَلَ سُوءاً.

(٨) يَبْلُو: يَخْتبر ويَمْتَحِنُ.

(٩) خُروجه من الدنيا: رحيلُهُ عنها أو مُفارقتُه لها.

(١٠) رِضْوانُ الله: مَحَبَّتُهُ وتَقبُّلُهُ.

(١١) أئِمَّةُ الهُدَى: أُمَراءُ الحَقِّ والعَدْلِ والرَّشادِ.

(١٢) يُقْتدى بِهُداهم: يُحْتَذى باسْتِقامَتِهم وطَاعَتِهم.

(١٣) دَار المقَامة: أي الآخرة.

(١٤) فَضْلُ الله: خَيْرُه ونِعْمَتُهُ وإحْسَانُهُ.

(١٥) مَسَّهُ: أصَابَهُ ونَزَلَ به. يقال: مَسَسْتُ الشيءَ، إذا لَمَسْتَهُ بِيَدِك، ثم اسْتُعِيرَ للأخْذِ والضَّرْب، لأنَّهما باليد.

(١٦) النَّصَب: الإعياءُ من العَناءِ، أو التَّعب.

(١٧) اللُّغُوب: التَّعَبُ والإعياء.

(١٨) قَابَلَ: لَقِيَ وَوَاجَهَ.

(١٩) في الأصْل: «لا قِبَلَ لَدَيْهِ»، والتصحيح من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٣٠٨، ولا قِبَل له به: أي لا طاقةَ له به ولا قُدْرَةَ لهُ على مقاومته.

(٢٠) الرَّحْمةُ في بني آدمَ عندَ العَرب: رِقَّةُ القَلْبِ وعَطْفُهُ، ورَحْمَةُ اللهِ: عَطْفُهُ وإحْسانُهُ ورِزْقُهُ.

ما أبقَانَا في الدُّنيا، مُطِيعينَ لأمْرِهِ، مُتَّبِعينَ[١] لِكتابه، ويَجْعَلَنا، إذا خَرَجْنَا من الدُّنيا، إلى نَبِيِّنا، ومَنْ أمَرَ أنْ يُقْتَدى بُهداهم من المُصْطَفَيْنَ[٢] الأخْيَارِ[٣]، وأسألُهُ بِرَحْمَتِهِ أنْ يقِينا[٤] أعْمَالَ السُّوءِ[٥] في الدُّنيا، والسَّيِّئاتِ[٦] يومَ القيامةِ. ثم إنَّ عَبدَ الملكِ بنَ أميرِ المؤمنينَ كانَ عَبْداً من عِبَادِ الله، أحْسَنَ اللهُ إليه في نَفْسِهِ، وأحْسَنَ إلى أبيهِ فيه، أعَاشَهُ اللهُ ما أحبَّ أنْ يُعِيشَهُ، ثم قَبَضَهُ[٧] اللهُ حين أحبَّ أنْ يَقْبِضَهُ، وهو فيما علمتُ بالمَوْتِ مُغْتَبِطٌ[٨]، وَيرْجُو فيه من اللهِ رجاءً حَسَناً فأعوذُ[٩] باللهِ أنْ تكونَ لي مَحَبَّةٌ في شيءٍ من الأمورِ تُخالِفُ ما أحبَّ اللهُ، فإنَّ خِلافَ ذلك لا يَصْلُحُ في بَلائِهِ[١٠] عندي، وإحسانِه إليَّ، ونِعْمَتِهِ[١١] عليَّ. وقد قُلْتُ عندَ ما كانَ في سَبيلِهِ[١٢]: أحْمَدُ اللهَ على ما رَجَوْتُ به ثوابَ اللهِ الحَسَنَ: ومَوْعُودَهُ[١٣] الصَّادِقَ[١٤] من المَغْفِرَةِ[١٥]، إنا للهِ وإنَّا إليه رَاجِعونَ. ثمَّ لم أجِدْ في نفسي بعد ذلك، والحمدُ للهِ، إلاَّ خَيْراً. من رضاً بقضَاءِ[١٦] اللهِ تعالى، واحْتِسابٍ[١٧] لما كان من المُصِيبةِ، فَحَمِدْتُ الله على ما مَضَى. وعلى ما بَقِي، وعلى كلِّ

---

(١) مُتَّبِعينَ لِكتابِهِ: مُؤتَمِّينَ به عَامِلينَ بما فيه.

(٢) المُصْطَفَوْن: المُخْتَارُون، يقال: هم من المصطَفَيْن إذا اخْتِيرُوا، وهم المُصْطفُون إذا اخْتارُوا.

(٣) الأخْيَارُ: جَمْعُ خَيِّرٍ وَخيِّرٍ، وهو الفاضِلُ الصَّالح.

(٤) وَقَاهُ: صَانَه وسَترهُ، أو حَفِظَهُ ومَنَعَهُ.

(٥) السُّوء: الشَّر والفُجُورُ والمُنْكَرُ.

(٦) السَّيِّئات: جمع سَيِّئةٍ، هي الخطيئةُ والعملُ القبيحُ.

(٧) قُبِضَ فُلانٌ: مات. وقَبَضَهُ اللهُ: أمَاتَهُ.

(٨) مُغْتَبِطٌ بالموت: مَسْرُورٌ به، من الغِبْطَةِ، وهي النِّعْمَةُ والسُّرور. والاغتباط: شُكْرُ الله على ما أنْعَمَ وأفْضَلَ وأعْطَى.

(٩) أعاذ بالله: لاذ به ولجأ إليه واعْتَصَم.

(١٠) بلاءُ الله: إنْعَامُهُ وإحْسانُهُ.

(١١) النِّعمة: الخَفْضُ والدَّعَةُ والمَال.

(١٢) في سبيله: في السِّياقِ، أي النَّزْعِ والاحْتِضَارِ.

(١٣) المَوْعُود: الوَعْدُ. يقال في الخَيْر: الوَعْدُ والعِدَةُ. وفي الشَّرِّ: الإيعادُ والوَعيدُ.

(١٤) الصَّادق: المُحَقَّق.

(١٥) المَغْفِرة: التَّغْطِيةُ على الذُّنوب والعَفْوُ عنها.

(١٦) قَضاءُ الله: حُكْمُهُ وأمْرُه.

(١٧) الاحْتِسَابُ: طَلَبُ الأجْرِ من الله تعالى. وفي الحديث: «مَنْ ماتَ له وَلَدٌ فَاحْتَسَبَهُ». أي احْتَسَبَ الأجْرَ بِصَبْرِه على مُصِيبَتِهِ به، معناهُ اعْتَدَّ مُصِيبَتَهُ به في جملة بلايَا اللهِ التي يُثابُ على الصَّبْرِ عليها. (اللسان: حسب).

حالٍ من أمرِ الدُّنيا والآخرةِ أحْبَبْتُ أنْ أُعْلِمَكم بذلك، وأَكْتُبَ إليكم به. فلاَ أعْلَمُ ما أنيحَ عليهِ في شيءٍ مما قِبَلَكَ، ولا اجْتَمَع على ذلك أحدٌ من النَّاسِ، ولا رَخَّصْتُ[١] لقريبٍ من النَّاسِ ولا لبعيدٍ. واكْفِني[٢] ذلك بكفايةِ الله، ولا أَلُومَنَّكَ فيه[٣] إنْ شاءَ الله. والسَّلامُ عليك».

٢ ـ تَعزِيةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لأبي أُمامةَ الحِمصي باستِشهادِ ابنٍ له:

أنساب الأشراف ٨: ١٥٤

والتعازي والمراثي ص: ٥٩

كتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى أبي أُمَامَةَ الحِمْصيِّ يُعَزِّيهِ بابنٍ له اسْتُشْهِدَ:

«أمَّا بعدُ، فالحمدُ للهِ على آلائِهِ[٤] وقضائِهِ[٥]، وقد بلغني الذي ساق اللهُ إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي أُمامَةَ من الشَّهادةِ، فقد عاشَ في الدُّنيا مأموناً[٦]، وأفْضَى[٧] إلى الآخرة شَهِيداً، فقد فازَ[٨] بما خَصَّ[٩] اللهُ به الشُّهداءَ من الفَضِيلةِ[١٠] والكَرامةِ[١١]، فليسَ شيءٌ نَعْلَمُهُ، وإنْ عَظُمَ[١٢] خَطَرُهُ[١٣] وجَلَّ[١٤] ثوابُهُ[١٥]،

---

(١) رَخَّصَ له في الأمرِ: أذِنَ له فيه بعدَ النَّهْيِ عنه.

(٢) كَفَاهُ الأمر: قام فيه مقامَهُ وأغْنَى عنه. الكفاية: الغناء والنفع والإجزاء، وكفاية الله: قدرته.

(٣) لامَهُ: عَذَلَهُ.

(٤) الآلاء: النِّعَمُ، واحدُها ألىً بالفتح، وإلِيٌّ وإلىً.

(٥) قضاءُ الله: حكمُهُ وأمْرُهُ.

(٦) المأمون: المؤتمن الموثوق.

(٧) أفضَى: صار. والإفضاء في الحقيقة: الانتهاء.

(٨) فاز: ظفرَ.

(٩) خَصَّهُ بالشيءِ واخْتَصَّه به: أفْرَدَهُ به دُونَ غَيْرِه.

(١٠) الفَضيلة: الدرجة العالية في الفضل.

(١١) الكرامة: العزازة.

(١٢) عظم: كَبُرَ.

(١٣) الخطر: القَدْرُ.

(١٤) جَلَّ: عَظم وكَبُرَ.

(١٥) الثواب: جَزاء الطاعةِ وجزاءُ العَمَلِ.

أعْظَمَ عندَ اللهِ تَبارَكَ وتعالَى وعندَ عبادِهِ الذين أُوتُوا العِلْمَ والفَهْمَ من الشَّهادةِ، فَمَنْ خَصَّهُ الله بها فقد أفْلَحَ[١] وأنجح[٢] وربحَ[٣]، ووَسَمَهُ[٤] اللهُ سِمةَ[٥] الأبْرارِ[٦]، فهو في جِوارِ[٧] اللهِ وتحتَ عَرْشِهِ[٨]، وقد انْقَطَعَتْ[٩] عنه مَرارةُ[١٠] الدُّنيا وعِلاجُها[١١]، وصارَ إلى عَيْشِ الآخرةِ وحُبُورِها[١٢]، نَسْألُ الله الذي بيدِهِ نَواصي[١٣] العبادِ أنْ يَرْزُقَنا وإيَّاكُمُ الشَّهادةَ والسَّعادةَ[١٤] بِقُدْرَتِهِ، والسَّلامُ».

٣ ـ تَعزيةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لعمرَ بنِ عبدِ الله بنِ عُتبةَ بابنه:

حلية الأولياء ٥ : ٢٦٦

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٢٥٠

---

(١) أفْلَحَ: صار إلى الفلاح، وهو الفَوْزُ والنَّجاةُ والبَقاء في النَّعيمِ والخير.

(٢) أنْجحَ: صار ذا نُجْحٍ، وهو الظَّفر بالشيء، أو إدْراكُ الحاجة والطِّلبة.

(٣) رَبح: غَنِم وَكسِب.

(٤) وَسَمَهُ: أثَّرَ فيهِ بسمةٍ وكَيٍّ. والمرادُ عَلَّمَهُ وعَرَّفَهُ.

(٥) السِّمة: العَلامة.

(٦) الأبْرارُ: جمع برٍّ، وهو الصالح الخيِّر الصَّادق.

(٧) جِوارُ الله: ناحيتُهُ وكَنَفُهُ. والمراد رحمتُهُ ولطفُهُ وعَطفُهُ.

(٨) العَرْشُ: مَجْلِسُ الرحمن. وفي التنزيل العزيز: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. (سورة الأعراف: الآية ٥٤). ولَفْظَةُ العَرْش مُشتركةٌ بين معانٍ كثيرةٍ، فالعَرْشُ: سَرِيرُ المَلِكِ. والعَرْشُ: السَّقْفُ. وكل ما عَلاَ وأظَلَّ فهو عَرْشٌ. والعَرْشُ: المُلْكُ والسُّلْطانُ والعِزُّ. (البحر المحيط ٤ : ٣٠٧).

(٩) انْقَطَعَتْ عنه: ذَهَبَتْ وزَالَتْ.

(١٠) المَرارَةُ: الاسم من مَرَّ الشيءُ إذا صار مُرّاً. وعيشٌ مُرٌّ: على المَثَل، أي شديدٌ ضَيِّقٌ. والمراد شدَّةُ الدُّنيا ومشقَّتها.

(١١) العِلاَج: المُقاساة والمُعَانَاةُ والمُكَابَدةُ.

(١٢) الحُبُور: السرور.

(١٣) النواصي: جمع ناصيةٍ، والنَّاصية عند العربِ مَنْبتُ الشَّعرِ في مُقَدَّمِ الرأس، لا الشَّعرُ الذي تُسَمِّيه العامَّةُ النَّاصيةَ، رسُمِّي الشَّعْر ناصيةً لِنَباتِهِ من ذلك المَوْضِع. وفي التَّنزيل: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾. (سورة هود: الآية ٥٦). قال الزَّجاجُ: مَعْنَاهُ في قَبْضَتِهِ تَنالُهُ بما شاء قُدْرَتُهُ، وهو سبحانه لا يشاءُ إلاَّ العَدْلَ. (اللسان: نصا).

وقيل: وَصَفَ قُدْرةَ الله تعالى وعَظِيمَ مُلْكِهِ من كَوْنِ كلِّ دَابَّةٍ في قَبْضَتِهِ ومُلْكِهِ، وتحتَ قَهْرِهِ وسُلْطَانِهِ، فأنتم من جُمْلَةِ أولئك المَقْهورين. وقوله: ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: تمثيلٌ إذ كان القادرُ المالكُ يقودُ المَقْدُورَ عليه بناصيَتِهِ كما يقادُ الأسير والفَرَسُ بناصِيَتِهِ. حتى صار الأخذ بالناصيةِ عُرْفاً في القدرة على الحيوان، وكانت العربُ تَجُزُّ ناصيةَ الأسيرِ المَمْنُونِ عليه علامة أنه قُدِرَ عليه وقُبِضَ على ناصيتِهِ. قال ابن جريج: وخصَّ الناصيةَ لأن العربَ إذا وَصَفَتْ إنساناً بالذِّلةِ والخضوع قالت: ما ناصيةُ فلانٍ إلاَّ بيد فُلانٍ، أي أنه مطيعٌ لَهُ يُصَرِّفُهُ كيف يشاء. (البحر المحيط ٥ : ٢٣٤).

(١٤) السعادة: النَّعيم.

كتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى عمرَ بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ يُعَزِّيهِ في ابنهِ:

«أمَّا بعدُ، فإنَّا قومٌ من أهلِ الآخِرَةِ، سَكَنَّا الدُّنيا، أمواتٌ أبناءُ أمواتٍ. والعجبُ[1] لِمَيِّتٍ يَكْتُبُ إلى مَيِّتٍ، يُعَزِّيه[2] عن مَيِّتٍ. والسَّلامُ»!

(١) العَجَبُ: إنْكارُ ما يَرِدُ عليك لِقلَّةِ اعتيادِهِ. وقيل: أصْلُ العَجَبِ في اللُّغةِ، أنَّ الإنسانَ إذا رأى ما يُنْكِرُهُ ويَقِلُّ مثلُهُ قال: عَجِبْتُ من كذا.

(٢) عَزَّاه: أسَّاه، أي صَبَّرَهُ.